

من حبرنا القلمي

يدهشني في حياة الملكة فكتوريا تلك الإرادة التي استطاعت بها أن تفصل بين « واجبها » كملكة تحكم ، وبين « قلبها » كمرأة تحب . إنها كانت مشغوفة بزوجها الأمير « ألبرت » ، ومع ذلك أقصته أول الأمر في نسوة عن دفة الملك وشئون الحكم ، وهو الرجل الذي الواسع الاطلاع ، فكانت تدرس هي معضلات الدولة وتركة هو يقتل الوقت بالقراءة وعزف الموسيقى . آه ! ما أحوجني أنا إلى مثل هذه المرأة التي تركني أقرأ وأكتب وأسمع الموسيقى ، وتنصرف هي إلى حل المسؤوليات وحل مشاكل العيش ... شيء آخر يعجبني في تلك الملكة العظيمة : إنها كانت تقرأ . إني أحب الملوك والقادة الذين يقرأون . تلك هي الوسيلة التي بها يعرفون حاجات شعبيهم . لقد قرأت فكتوريا بعض قصص « ديكتر » التي يصف فيها شقاء الطبقات الفقيرة ، وأحست وهي في أبراج قصرها ما يعانيه ألوف من البشر يطوهم ظلم أرستقراطية جامحة بمراتبها الفخمة وخبوؤها المظلمة ، فأدركت من خلال سطور ذلك الأديب كيف أن في بلادها عالم آخر مهملاً يتن من الجوع والبؤس ولا يلتفت إليه أحد . فتركت الملكة الكتاب وقامت صائحة مرئعة لم يهدأ لها قرار حتى مدت يدها إلى أولئك المتاكيد ، فرفعت عن أعناقهم نعال الفئحة الباغية ، وأطلقتهم يمشون في هواء الحرية والرخاء كما يعيش الآدميون . في مصر والشرق أيضاً بني وبناء ، وظلم وظالمون من جميع الأنواع ؛ وفيهما كذلك فقر وشقاء وجهل وظلام في كل ركن من الأركان . ولقد يسألني سائل : أين هو الأديب الذي يصف كل هذا البلاء ، ويصور هذه الدنيا التمسمة المهمة التي لم تمتد إليها يد إصلاح منذ أجيال ؟ جوابي على هذا السؤال بسيط : هات لي من يقرأ ، أحضر لك من يكتب . إن الطاهي لا يوجد إلا إذا وجد الآكلون . إن الشرق لن يتغير حتى يعلم قاده كيف يملؤون أدمغتهم بكل ما يمكنهم من فهم حال شعوبهم . إن ربان السفينة لا يركب البحر قبل أن يعرف بعض أسرار الريح والماء وبجود السماء . فلنرج دائماً ممن يسك بالزمام أن يسك أيضاً بالكتاب

توقيع الكاتب

قريبة من القاهرة ، فقد رسب أيضاً طالب في اللغة الإنجليزية ، ورفض المراقب زيادة الدرجة وإنجاح الطالب ، وأبي أبو الطالب ، وكان من الوجاهة العظام ، إلا أن يحمل لي ضغينة شديدة وأن يثير ضدي غيره من الناس وإن كنت لا أملك وسيلة قانونية لزيادة الدرجة إذا رفض مراقب اللغة الإنجليزية أو غيرها من المواد لإنجاح الطالب . كما أتى ما كنت أملك وسيلة لمنع مراقب التصحيح من إنجاز الطالب لو أراد إنجازها ، ورأى أنه يستحق النجاح ، وفي هذا العجز عن منعه من إنجاز الطالب ما يدل على العجز عن منعه من إسقاطه مادام يستعمل حقه القانوني وما دام الطالب يستحق التقدير الذي قدره له مراقب التصحيح

وقد اتضح لي أن أولياء أمور الطلبة في مثل هذه الأحوال يريدون أن يوسطوا بعض المشغلين بالتعليم فيزيد هؤلاء النار أجيحاً ، وقد ذكرت الآن حادثة ثالثة حدثت في المدرسة الأخيرة وهي أن طالباً أهان أستاذاً فرفت الطالب بضمة أيام ، فجاء إلى والده وقريبه وهما من الأعيان ومعهما ثالث من المشغلين بالعلم والتعليم ، وحاولوا من غير تلاف بل بوجهتهم ونفوذهم ، وقبل أن يعرفوني بأنفسهم أن يحملوني على نقض ما أبرمت ، ورأيت أني لأملك حق السماح للطالب أن يهين أستاذه ، فرفضت ، فحملوا لي الضغينة وكان أشد من ضغينة ذلك المشتغل بأمر التعليم . وذكرت حادثة أخرى مثلها حدثت في مدرسة من مدراس الوجه البحري ، وتدخل أيضاً أحد المشغلين بالتعليم بخطاب شفاعته من القاهرة فتلطفت في رد طلبه ، فحمل لي ضغينة العمر .

والذي أعرفه أن الطلبة كانوا قديماً لا ينقمون العقاب المدرسي إذا عرفوا حسن نية موقعه ، ولكن الحال قد تبدلت الآن لسوء قدوة الكبار . فإذا كان بين الطلبة من لا يحترم حدود الحق والواجب فقد لتفوا ألا يحترموه ، بل لتفوا أن احترامه ضمة ومهانة . وكثيراً ما كنت أشاهد أن الطالب قد يتذمر من العقاب ولكنه يعود إلى الصفاء والولاء . أما الشفيح الخذول فإنه لا ينسى أبداً أنه قد رفضت شفاعته ، وهذا كان قبل أن تسرى طباع الكبار إلى الطلبة . ومن عجائب الدهر أن أشد الناس لوماً للطلبة وتعنيفاً لهم وذماً لسلكهم هم في كثير من الأحيان أسوأ قدوة للطلبة ، وهم على نفس الطباع والخصال التي يذمونها في الطلبة والتي مرت منهم إليهم ، وهؤلاء هم الكبار على اختلاف طبقاتهم وأعمالهم .

عبد الرحمن شكرى